

نفحات القرآن

[337] الآية السابعة وبعد أن وصفت الله عز وجل بإستحقاق العبودية والحمد والثناء في الدنيا والآخرة تقول : (وَهُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . وعبارة (وله الحكم) في الحقيقة دليل على إنحصار الأهلية للعبادة والحمد والثناء فيه عز وجل لأن (المعبود) و (المحمود) هو من كان حكمه نافذاً في كل شيء وفي الجميع ، وأن قال بعض المفسرين أمثال ابن عباس : بأن المراد من (حكم) هنا هو القضاء بين العباد يوم القيامة (1) وليس بأيدينا أي دليل على تحديد معنى الآية ، وقلنا مراراً : إن خصوصية المورد لاتمنع عمومية مفهوم الآية . وعليه فإن الآية أعلاه تشمل توحيد حاكمية الله في عالم التكوين وفي عالم التشريع والتقنين والحكومة والقضاء (في تفسير الميزان إشارة إلى عمومية مفهوم الآية) (2) . وينبغي ملاحظة أن عبارة (له الحكم) تدل على الحصر من جهتين : أحدها من جهة أن (له) مقدم ، والآخرى من جهة أن كلمة (الحكم) جاءت مطلقة أي أزلاً تشمل أنواع الحاكمية كلها . والجدير ذكره أن إنحصار المالكية في الله لا يمنع من أن يضعها الله في إختيار الأنبياء والأئمة المعصومين والعباد الصالحين فالبحث يدور حول المبدأ الأصلي للحاكمية ، كما أن إختصاص الحمد والثناء في ذاته المقدسة لا يمنع من أن يثني الإنسان على العباد الصالحين وهم وسائط النعمة والوالدين أو المعلم ، ولابد من ملاحظة أن هذه الأمور كلها من الله وهذا هو معنى الحاكمية . * * * 1 - تفسير روح المعاني : المجلد 20 / 92 . 2 - تفسير الميزان : 16/70 .